﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيّٗا ٤٣﴾ [مريم: 43]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

وجوب اتّباع أهل العلم للوصول إلى الهداية

لـمَّا نبَّه إبراهيم ﷺ أباه على أنَّ ما يعبده لا يستحقُّ العبادة، بل لا تجوز عبادته، وكان أقلُّ ما يصل إليه بذلك مقامَ الحيرة، نبّهه على أنّه أهل للهداية[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَوِيًّا﴾: (سوي) أَصْلٌ يَدُلُّ على اسْتِقامَةٍ واعْتِدالٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، يُقالُ هَذا لا يُساوي كَذا، أَيْ لا يُعادِلُهُ، ومَكانٌ سوًى، أَيْ مَعْلَمٌ قَدْ عَلِمَ القَوْمُ الدُّخولَ فيه والخُروجَ مِنْهُ[2]، والسَّويُّ يقال فيما يصان عن الإفراط، والتّفريط من حيث القدر، والكيفيّة، قال تعالى: ﴿مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ [طه: 135]، ورجل سويّ: استوت أخلاقه وخلقته عن الإفراط والتّفريط[3].

والصّراط السّويّ في الآية: المستوي الّذي لا عِوَج فيه ولا عَيْب[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

دعـوة الخليل أبـــاه إلى طريـق الهداية المستقيم

قال إبراهيم ﷺ لأبيه: يا أبت، إنّ اللّه أعطاني من العلم عن طريق الوحي ما لم يعطك، فاقبل منّي، واتّبعني إلى ما أدعوك إليه، أرشدك إلى الطّريق السّويّ الّذي لا تضلُّ فيه، وهو: عبادةُ اللّه وحده لا شريك له، وطاعتُه في جميع الأحوال[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 205.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوي).
(3) الراغب، المفردات: (سوي).
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4648.
(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 495، ونخبة منَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 308.

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى لطف خطاب إبراهيم ﷺ لأبيه ولينه فيه؛ فإنه لم يقل له: (يا أبت أنا عالمٌ، وأنت جاهلٌ)، أو: (ليس عندك من العلم شيءٌ)، وإنما أتى بصيغة تقتضي أنَّ عندي وعندك علمًا، وأنَّ الذي وصل إليَّ لم يصل إليك ولم يأتك، فينبغي لك أن تتَّبع الحُجَّة وتنقاد لها[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ تكرار النّداء ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾:

تكرّر النداء بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ مرّة بعد مرّة، وهو تكرير اقتضاه مقام استنزاله إلى قبول الموعظة؛ لأنّها مقام إطناب، ونظير ذلك بتكرير لقمان قوله: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ [لقمان: 13، 16، 17] ثلاث مرات، وهو بخلاف قول نوح لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾ [هود: 42] مرة واحدة دون تكرير؛ لأن ضيق المقام يقتضي الإيجاز وهذا من طرق الإعجاز[2].

التلطّف في الخطاب استنزالًا لقبول الموعظة

نكتة توالي المؤكدات في الآية:

أُكّد الكلام في قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ﴾ بمؤكّدَيْن هما: حرف التوكيد ﴿إِنِّي﴾، وحرف ﴿قَدۡ﴾ الّذي يفيد التَّحقيق بدخوله على الماضي؛ تنزيلًا للمخاطَب غير المُنْكِر منزلة المُنْكِر إذا اقتضى السياق التأكيد، فيؤكد له الكلام تأكيده للمنكر، وغير المنكر يشمل خالي الذهن من الحكم، والمتردد، والعالم به من غير إنكار ولكنه لا يعمل به[3]، فأكّد إبراهيم ﷺ لأبيه أنَّ الله قد آتاه علم الوحي والنبوة ليستميله إلى قبول النُّصح، فأحقّيَّة العالم بأن يتبع مركوزة في غريزة العقول[4].

تنزيل غير المُنكِر منزلة المُنكِر إذا اقتضى السياق التأكيد

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 495.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 115.
(3) الصعيدي، بغية الإيضاح: 1/ 47.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 115.

دلالة ﴿قَدْ﴾ وصيغة الماضي في الآية:

تأكيد تفضيل الله لإبراهيم عليه السلام بالوحي والنبوّة

جاء الفعل ﴿قَدْ جَآءَنِي﴾ بصيغة الماضي المصحوب بـ﴿قَدْ﴾، فيؤتى بقد لأنّها تدلّ على تحقيق أمر متوقع، كما أنّ الإخْبارَ عَنِ الشّيْءِ بِصيغَةِ الماضي يَقْتَضي تحقّق الخبر، ويقتضي كَوْنَ المخْبَرِ عَنْهُ مُتَقَدِّمًا عَلى ذَلِكَ الإخْبارِ[1]، فأكّد إبراهيم عليه السلام لأبيه أنّ الله قد آتاه علم الوحي والنبوّة، وهو حقيق بأن يتّبع، وهذا قصد قبول النصح.

بلاغة تقديم الجارّ والمجرور في الآية:

أحقية العالم بالاتّباع مركوزة في غريزة العقول

تقدّم الجارّ والمجرور ﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ على الفاعل ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ للاهتمام بالعلم في حدّ ذاته، فإخبار إبراهيم عليه السلام بما عنده من العلم دليل على أنّ أحقّية العالم بأن يُتَّبع مركوزة في غريزة العقول، ولم يزل البشر يتقَصَّوْنَ مظانّ المعرفة والعلم لجلب ما ينفع واتّقاء ما يضرّ، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: 43][2].

معنى حرف الجرّ ﴿مِنَ﴾ في الآية:

تواضع إبراهيم عليه السلام لأبيه رجاء استجابته

أوثِرَ في قوله: ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ استعمال حرف الجرّ ﴿مِنَ﴾ الّتي تدلُّ في هذا السّياق على التّبعيض، أي بعض العلم، وفي ذلك تواضع من الخليل عليه السلام، فلم يَرْمِ أباه بالجهل، وقد منعه الخُلُق الودود من ذلك، بل قال له: ﴿جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ والمعرفة ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾، فتعفّف عن أن يرميَهُ بالجهل، وتعفَّفَ عن ادّعاء العلم الكامل حتَّى لا يكون مستطيلًا بفضل علمه على أبيه ومستعليًا عليه، وذلك أدعى أن يقبل منه أبوه النَّصيحة[3].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 2/ 283.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 115.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4648.

نكتة التعبير بـ﴿مَا﴾ في الآية:

دلالة (ما) على ذوات ما لا يعقل، وعلى صفات من يعقل

عُبِّرَ في قوله: ﴿إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ بلفظ ﴿مَا﴾، ويحتمل فيها أن تكون موصولة كما يحتمل أن تكون نكرة موصوفة[1]، وهي تقع على ذوات ما لا يعقل، وعلى صفات من يعقل، وهي أوسع استعمالاً مِنْ (مَنْ) وأكثر إبهامًا منها، وبناء (ما) يوافق استعمالها المتسع فإنَّ مَدَّةَ الألف المتسعة في آخرها تشاكل الاتّساع في معناها[2]، وهي ترجع في هذه الآية إلى ﴿ٱلْعِلْمِ﴾ فاستعملت للدّلالة على غير العاقل.

دلالة الفاء وبلاغة الأمر في الآية:

ارتباط الهداية باتّباع العالم الربّاني

جاء في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ فعل الأمر ﴿فَٱتَّبِعْنِيٓ﴾ مقرونًا بفاء تسمّى الفاء الفصيحة؛ وذلك لأنّها أفصحت عن جواب شرط مقدّر، تقديره: (إذا كنتُ قد أوتيتُ هذا العلم الذي لم تُؤتَه فاتبعني أهدك الطريق المستقيم)[3]، كما يتّبَعُ السَّائرُ في طريق لا يعلمه الرائدَ الخِرّيتَ العارِفَ، وغَرَضُ الأمرِ هنا النُّصحُ والإرشادُ؛ رغبة في نجاة والده من عاقبة الشِّرْكِ وعبادَةِ الأوثان.

بلاغة الاستعارة في الآية:

تجسيد الهداية في طريق محسوس

يتضمّن قوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ صورة بيانية، وهي استعارة مَكْنية، إذ شُبِّهَ إبراهيم عليه السلام بهادي الطّريق البصير بالثّنايا، وإثبات الصّراط السوي قرينة التشبيه، ويمكن أيضًا اعتبارها استعارة تصريحيّة، وذلك بأن شَبَّهَ الاعتقادَ الموصِلَ إلى الحَقِّ والنَّجاةِ بالطريق المستقيم المبَلِّغِ إلى المقْصود[4]، فحذف المشبّه وصرّح بالمشبّه به وهو الصّراط.

(1) الزمخشريّ، الكشّاف: 3/ 20.
(2) فاضل السامرائي، معاني النحو: 1/ 130.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4648.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 115.

دلالة لفظ ﴿صِرَاطًا﴾ وتنكيره:

صـراط الـهـداية عـظـيـم مـوصـل إلى الفوز

أوثِرَ في قوله: ﴿فَاتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ التعبير بلفظ ﴿صِرَاطًا﴾، وهو بمعنى الطريق، وأصل الكلمة بالسين لأنَّه من الاسترَاط بمعنى: الابتلاع، فالسّراط يسترط السَّابلة والمارّة[1].

وقد جاء نكرة، والنّكتة البلاغية في ذلك أنَّ التّنكير يدلُّ على الإبهام، والإبهام له علاقة مباشرة بالتَّعظيم والتَّفخيم، فإنّ من أراد أن يعظّم شيئًا أبهمه بحيث لا يكتنه وصفه، وتذهب النّفس فيه كلّ مذهب، فصراط الهداية عظيم موصِلٌ إلى الفوز والسّعادةِ الأبديَّة.

دلالة وصف الصّراط بقوله: ﴿سَوِيًّا﴾:

أحسـن الـطـرق مـا كان جادة

ورد في قوله: ﴿فَاتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ التّعبير بلفظ ﴿سَوِيًّا﴾ وصفًا للصّراط، ومعنى السّويِّ: المستوي الّذي لا عِوَجَ فيه ولا عَيْب[2]، وأحسن الطّرق الّذي يكون مستقيمًا، وهو الجادَّةُ لأنَّهُ باستقامته يكون أقرب إلى المكان المقصود من غيره، فلا يضلّ فيه سالكه ولا يتردّد ولا يتحيّر، وهو هنا مستعار للحقّ البيّن الّذي لا تخالطه شبهة باطل، والاعتقاد الموصل إلى الحقّ والنّجاة[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الصّراط والسبيل والطّريق:

عـمـوم الـدّلالة في الـسّـبـيـل وكـثـرة اسـتـعـمـالاتـهـا المجازية

تشترك ألفاظ الصّراط والسّبيل والطّريق في الدّلالة على المسلك، وتفترق في أصل الاشتقاق، فالصّراطُ مُشْتَقٌّ مِنْ (سرَطَ) بمعنى ابتلع؛ لِأَنَّ الذَّاهبَ فيه يَغيبُ غَيْبَةَ الطَّعام المُسْتَرَطِ[4]، والسّبيل مأخوذ من امتدادِ الشَّيء طولًا، وهوَ الطَّريقُ؛ سُمّيَ بِذَلِكَ

(1) الواحدي، البسيط: 1/ 522.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4648.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 115.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سرط).

لِامتِدادِه[1]، وأمَّا الطريق فهو فعيل بمعنى مفعول، يطرقه النَّاس بأقدامهم، وقد فرّق بعض العلماء بينها بأنَّ السّبيل أعمُّ دلالة من الصّراط والطّريق، فهو اسم يقع على ما يقع عليه الطّريق وعلى ما لا يقع عليه الطّريق، تقول: سبيل اللّه وطريق اللّه، وتقول: سبيلك أن تفعل كذا، ولا تقول طريقك أن تفعل، كما يمكن التفريق بينهما بأنَّ السّبيل أغلب وقوعًا في الخير، ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير إلا مقترنا بوصف أو إضافة تخلّصه لذلك[2]، ويمكن أن يقال أيضًا: إنَّ السّبيل تَرِدُ في استعمالات مجازية أكثر من الطريق، فيطلق السبيل على الحيلة نحو قوله: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾ [الشورى: 46]، والحَرَج نحو: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى: 41]، والحجّة نحو: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء: 141]، واللّوم والعتاب نحو: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: 75]، فلفظ السّبيل أوسع الثّلاثة دلالة وأكثرها استعمالًا.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سبيل).

(2) أبو هلال العسكريُّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 313.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»